في محاضرة بجامعة قطر

أستاذ روسي يطالب علماء المسلمين بتوثيق الصلة بمراكز البحوث الغربية لتصحيح فهمها للشريعة الإسلامية

كتب ـ محمد الخليل:

أكد الدكتور ليونيد سيسوكاينين الاستاذ بأكاديمية العلوم الروسية أهمية توثيق الصلة بين علماء المسلمين ومراكز البحوث والدراسات في الغرب بصفة عامة وروسيا بصفة خاصة ليتجاوز الانحرافات والاخطاء الناتجة عن سوء فهمهم للشريعة الإسلامية.

موضحا ان سوء الفهم ليس ناتجاً عن انحياز علماء الغرب لمعتقداتهم كما كان في الماضي بل لعدم اطلاعهم وادراكهم لنظم التشريع في الإسلام جاء ذلك في المحاضرة التي القاها امام مجموعة من أساتذة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

وأوضح قائلا: انني اعمل بمعهد القانون بأكاديمية العلوم الروسية منذ حوالى ٢٠ عاما واحاول ان اتخصص في الشريعة الإسلامية والنظم التشريعية العربية ومدى تأثير الشريعة على هذه النظم. وقال ان النظرية العامة للقانون الوضعي حتى الآن لاتأخذ بعين الاعتبار الشريعة الإسلامية فالمؤلفات المختلفة في هذا المجال كلها تنظر الى الموضوع حسب وجهة النظر الأوروبية مشيرا الى ان علماء الغرب يطلقون على قوانينهم «النظرية العامة للقانون» ولكن في الحقيقة ليست كذلك فهي نظرية القانون الأوروبي فقط وليست النظرية العامة للقانون ولذا يجب ان تأخذ في الاعتبار الشريعة الإسلامية وغيرها من النظم القانونية اذا ارادت ان تكون نظرية عامة. واضاف لعل هذه النظرة نابعة من تصور البعض ان الشريعة الإسلامية ظاهرة دينية وليست ظاهرة قانونية او انها عبادات فقط بلا معاملات. وهذا ناتج عن جهل هؤلاء العلماء وهم كثيرون يتوزعون في مختلف الجامعات ومراكز الابحاث في الغرب. وهناك مؤلفات قانونية تناولت الشريعة الإسلامية او الفقه الإسلامي على هذا الأساس ولكن الشريعة الإسلامية خلافاً لكل النظم القانونية الاخرى مثل القانون الروماني والانجلوساكسوني تمتاز بكونها نظاما دينيا وتقليديا وعموما معرفتهم تكونت من خلال الكتيبات الصغيرة ويمتلكون معلومات سطحية وخاطئة تبعاً لذلك عن الإسلام. واكد انه لايعرف فقيها قانونيا غربيا مثلا يجيد العربية لهذا فان هؤلاء العلماء اكثر مايركزون على الفوارق والاختلافات الموجودة بين الشريعة الإسلامية والنظم القانونية الغربية مشيرا الى انه يوجد بين هؤلاء العلماء من يفهم ترتيب مصادر التشريع في الإسلام والقرآن والسنة والاجماع والقياس.. الخ. ويدرك ادراكاً جيداً المصطلحات الفقهية الإسلامية. ويتفهم بعض العبادات والمعاملات في الإسلام. واضاف في الحقيقة هناك توفيق معقد كما ارى بين العقل والنقل وبين العبادات والمعاملات وبين الأصالة والمعاصرة في الدين الإسلامي.

الدكتور ليونيد سيسوكاينين

ففي الوقت الذي يدرس هؤلاء العلماء النظم القانونية الغربية في نصوصها الاصلية واوضاعها التاريخية المختلفة ويتناولون التطورات التي لحقت بها نجدهم عندما يدرسون الشريعة الإسلامية يكتفون بقراءة نصوص محدودة من القرآن او السنة مثلا فقط مما يؤدي باحدهم لأن يقول «ان القرآن الكريم لايحتوي على النظرية العامة للقانون». وبالتالي يستنتج ان الإسلام يخلو من النظرية العامة للقانون من غير ان يراعي جهود علماء المسلمين في العصور المختلفة. وقال نتيجة لذلك فانهم ينظرون الى الشريعة الإسلامية على انها بدائية وغير متطورة. واضاف: انه يعمل حاليا على إعداد بحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والنظم التشريعية الاخرى محاولا تجاوز هذه السلبيات والاخطاء العلمية. ويقارن بين الشريعة الإسلامية وأبعادها القانونية. كما تناول تدريس الشريعة الإسلامية في بعض الجامعات الروسية وانه لابد من اتباع مناهج معنية في تدريسها. ثم تحدث عن الوضع القانوني في روسيا وكيف ان النظام القانوني الروسي بدأ يتجه الى النظام المختلط ويستمد بعض قوانينه من النظام الانجلوساكسوني وتبعاً لذلك طرح تساؤلاً فحواه هل يتسع صدر النظام القانوني الروسي للشريعة الإسلامية؟ وقال: ان التساؤل محل النقاش واني لدى الجواب واضاف انه كتب بحثاً تحت عنوان «هل تحتاج روسيا الى الثقافة الشرعية الإسلامية أم لا». وقال: انه اجاب على هذا السؤال ايجابيا ولكن هناك حساسيات كثيرة لدى البعض عندما يسمعون مثل هذه التساؤلات وقد امتنعت المجلة التي انا عضو في هيئة تحريرها عن نشر مثل هذا الموضوع وهذا بعد اول مرة لم ينشر مقال لعضو في هيئة التحرير.

وأوضح انه قصد من وراء مقاله مراعاة الشريعة الإسلامية في المناطق التي يشكل المسلمون فيها الاغلبية مع شرط عدم مخالفة المبادىء العامة للتشريع الروسي.